

الإهداء

إلى كلِّ مَنْ أدركَ أنَّ الكعكةَ حَجَرِيَّةٌ

م.ع

obeikan.com

أيها الواقفون على حافةِ المذبحةِ  
أشهرُوا الأسلحةَ !  
سقطَ الموتُ ، وانفرطَ القلبُ كالمِسْبَحةِ .  
والدَّمُ انسابَ فوقَ الوشاحِ !  
المنازلُ أضرحةٌ ،  
والزنانُ أضرحةٌ ،  
والمدَى .. أضرحةٌ  
فارفغوا الأسلحةَ  
وانبغوني !  
أنا ندمُ الغدِ والبارحةِ  
رايتي : عظمتان .. وجمجمةٌ ،  
وشِعاري : الصبَّاحُ !

(الإصحاح الأول - سفير الخروج)

obeikan.com

## المقدمة

هذه ثلاثة أبحاث لم أشأ لها في البدء أن تكون كتاباً ، فأولها كُتِبَ لينشر بمجلة الباحث<sup>(\*)</sup> ، وهي التي أشرف بعضويتي لهيئة تحريرها ، ثم كان البحث الثالث لذات الغرض ، ولكن لمّا طالت صفحاته ، لاحت لي الفكرة ، وشاء القدر أن يشدني الإعجاب الكبير بالقصيدة صاحبة البحث الثاني بهذا الكتاب ، فكان أن تمت ثلاثتها ، وكان الكتاب بهذه الترتيبية ، لتلك الأعمال الأدبية الثلاثة لأمل دنقل ، التي تؤرخ لثلاث مراحل تاريخية ، لها خصوصيتها السياسية ، بتاريخ مصر خاصة ، والعالم العربي عامة في العصر الحديث .

فأولها (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) يطرح فيها الشاعر رؤيته عن هزيمة (1967م) ، وثانيها (سفر الخروج / أغنية الكعكة الحجرية) تتحدث عن مظاهرات الطلاب (1972م) ، ضد حالة اللا حرب ، فيما عُرف وقتها بعام الضباب ، وثالثها ديوان (أقوال جديدة عن حرب البسوس) يتناول فيه ما بعد نصر (1973م) ، من أحداث ، وصلح مع إسرائيل ، فيما عُرف في تاريخنا السياسي بمعاهدة (كامب ديفيد) ، وهو في كل الأحوال ينقد ، حالما بواقع أفضل ، دافعاً -كعادته- الجماهير للثورة على كل الأوضاع الفاسدة ، مُحَمِّساً الشعب أن يقرر مصيره ، فيما ابتلي به ، رافضاً الانهزامية والاستسلام ، داعياً لأن يؤخذ الحق كاملاً ، دون انتقاص ، حريصاً على أخذ الثأر ، وتحقيق العدالة !!!

ولا أزعم أن اختيار هذه الأعمال ينفي الخصوصية الأدبية ، والتميز لأعمال أخرى كثيرة للشاعر ، ولكنني أرى - فيما أعتقد - أن هذه الأعمال جديرة بإماطة اللثام عن عناصر أدبيتها ، وحالها حال أعمال أخرى بشعر أمل - اجتهد غيرنا ، وربما نجتهد مستقبلاً في دراستها ، وبيان ما فيها من إنتاج دلالي .

إن أمل دنقل مثال للشعرية المنفردة ، ونموذج للشاعر الناثر الذي أدرك حاجة وطنه إلى إنشاده ، فوقف بجانبه ، وعالج قضاياها .

---

(\*) مجلة علمية سنوية مُحَكِّمة ، تصدر عن كلية إعداد المعلمين بؤذان ، جامعة التحدي الجماهيرية الليبية .

وإذا كان أمل دنقل قد رحل مهموماً بقضايا وطنه وأمته منذ ثلاثة وعشرين عاماً ، إلا أنه مازال يعيش بيننا ؛ لأن الظرف التاريخي الذي أنتج شعره مازال ممتداً على خارطتنا الثقافية السياسية إلى اليوم ، بكم مختلف ، وكيفيات متعددة ، وربما نحن في حاجة إلى أكثر من أمل ؛ لتحفيز الهمم ، فنستعيد آمالنا ، ونواجه مستقبلنا .

وبعدُ ، فإني أرجو أن أكون قد وفقت فيما حاولت أن أقرب من كشفه ، داعياً الله تعالى حسن الجزاء .

وعلى الله قصد السبيل  
دكتور. عبد الباسط محمود  
وَدَّان / 1 - 6 - 2006م

## التمهيد

- 1 - أمل دنقل .
- 2 - الشعر والسياسة .
- 3 - القارئ والنص .

- 1 -

## أمل دنقل

- أ -

ولد محمد أمل فهيم أبو القسام محارب دنقل في الثالث والعشرين من يونيو ، سنة 1940م ، بقرية القلعة ، مركز قفط ، على مسافة ليست بعيدة عن مدينة قنا ، بصعيد مصر ، وكان والده عالماً من علماء الأزهر ، حصل على إجازة العالمية ، سنة 1940م ، فلما جاء مولوده الأول أطلق عليه اسم (أمل) ؛ تيمناً بالنجاح الذي أدركه قبل ولادته .

وقد عمل والد أمل مدرساً للغة العربية ، وكان يكتب الشعر العمودي ، ويمتلك مكتبة ضخمة ، تضم كتب الفقه والشريعة والأدب ، وكانت هذه المكتبة بما احتوته زاد أمل الثقافي ، الذي هيا منه في مقببل عمره شاباً مثقفاً ، وشاعراً جيد القصيد ، حين بدأ يقرض الشعر ، مبدعاً فيه ، وهو في السنة الأولى من المرحلة الثانوية ، وينشره على صفحات جريدة مدرسة قنا الثانوية ، وسط شك من زملائه أنه يسرقه من مكتبة أبيه ، فما كان منه إلا أن هجا منتقديه ؛ مثبناً بهجانه ما يمتلك من شاعرية .

ولم يكد أمل يتم العاشرة حتى توفي والده (1950م) ، وأصبح وهو في هذا السن مسؤولاً عن أمه وشقيقه ، لكنه استمر في دراسته ، فأنهى دراسته الثانوية بمدينة قنا (1957م) ، ثم التحق بعدها بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وما لبث أن انقطع عن متابعة الدراسة منذ العام الأول ، فعاد إلى قنا ؛ ليعمل موظفاً بمحكمة ، ثم جمارك السويس ، فالإسكندرية ، ثم بمنظمة التضامن الأفروآسيوي ، لكنه كان دائم الفرار من الوظيفة ؛ لينصرف إلى الشعر .

وقد لازمه مرض السرطان لأكثر من ثلاث سنوات ، صارع خلالها الموت ، دون أن يكف عن حديث الشعر ، إلى أن توفي في الصباح الباكر من اليوم الحادي والعشرين من مايو ، سنة 1983م ، في القاهرة .

ترك أمل ست مجموعات شعرية ، اثنتان منها جُمعتا بعد وفاته ، إضافة للعديد من القصائد المفردة التي لم تلحق بديوان ، وقد صدرت جميعاً مفردة ومجموعة في

عدة طبقات ، أحدثها الأعمال الكاملة ، الصادرة عن مكتبة مدبولي ، في طبعة ثانية ، مزيدة ومنقحة (2005م) ، تضم بين دفتيها دواوين<sup>(1)</sup> :

- 1 - البكاء بين يدي زرقاء اليمامة (1969م) .
  - 2 - تعليق على ما حدث (1971م) .
  - 3 - مقتل القمر (1974م) .
  - 4 - العهد الآتي (1975م) .
  - 5 - أقوال جديدة عن حرب البسوس (1983م) .
  - 6 - أوراق الغرفة 8 (1983م) .
- ذلك إضافة لمجموعة من القصائد المفردة ، وهي :

- 1 - إلى صديقة دمشقية (1966م) .
- 2 - عشاء .
- 3 - البطاقة السوداء .
- 4 - لا أبكيه (1973م) .
- 5 - العزاف الأعمى (1974م) .
- 6 - نجمة السراب .
- 7 - أيوم النهر (1980م) .

---

(1) للتعرف أكثر على أمل دنقل ، الإنسان والشاعر ، يرجع على سبيل المثال لا الحصر إلى :

- مجلة الرويني - الجنوبي ، أمل دنقل - مكتبة مدبولي - القاهرة - 1985م .
- د. سيد البحراوي ، وعجلة الرويني - أمل دنقل ، كلمة تقهر الموت - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة - كتاب الثقافة الجديدة - ع [1] - 1990م .
- د. سلامة آدم - كتاب أوراق من الطفولة والصبا - مجلة إبداع (عدد خاص عن أمل دنقل) - القاهرة - السنة الأولى - ع [10] - 1983م ، وراجع كل الدراسات التي يحتويها العدد .
- حسن طلب - أمل دنقل ، حياته ، وأدبه ، وأمساته - مجلة الدوحة - قطر - ع [91] - يوليو - 1983م .
- د. حسن الغرفي - أمل دنقل ، عن التجربة والموقف - مطابع أفريقيا الشرق - الدار البيضاء - المغرب - 1985م .
- د. جابر قميحة - التراث الإنساني في شعر أمل دنقل - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - 1987م .
- د. عبدالسلام المساوي - البنيات الدالة في شعر أمل دنقل - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - سوريا - 1994م .

## - ب -

تلك هي سيرة أمل دنقل إجمالاً ، أمّا إذا اقتربنا في إلماحة إلى شخصيته ، فلن نجد أكثر تعبيراً عنها ممّا قالته زوجته الناقدة الأدبية عبلة الرويني ، وصديقه الناقد الكبير الدكتور جابر عصفور ، وكلاهما يلتقي على صفات محددة ، تبرز شخصية أمل ، وأهم سماتها .

فالدكتور جابر عصفور في معرض وصفه لأمل دنقل ، وصفاته التي قرّبت بينهما يقول :

" وقد جذبتني صفات أمل الشخصية : الحس العالي بالرجولة ، الكرامة التي لا تقبل التنازل مهما كان هيناً ، الاعتزاز بالنفس إلى أبعد حد ، الترفع عن الصغائر ، الوفاء النادر ، الإخلاص الحقيقي ، المحبة الخالصة ، النهم المعرفي الذي لا يهدأ ، روح الانطلاق التي لا تعرف السكون ، رغبة المغامرة التي لا تخشى شيئاً ، الوعي السياسي القومي الذي لا يقبل المهادنة ، ويرفض الاستسلام ، احتقار المال على رغم الحاجة إليه ، تقديس الشعر بصفته الفرع المختلس الذي يمنح الحياة معنى ، الجسارة المتناهية في كتابته ، والشجاعة القصوى في التعبير عن الرأي أو السلوك مهما كانت العقبات "(1).

ويستطرد في سرد تلك الصفات ، فيقول : إن أمل ذو طبع ناري ، وشخصية صلبة حادة ، " لم تكن تقبل أنصاف الطول ، أو تتسامح مع المناطق الرمادية ، فمع أمل إمّا أن تكون متنسباً إلى اللون الأبيض الناصع ، فكريباً وإنسانياً وإبداعياً وسياسياً ، أو إلى اللون الأسود القاتم ، ولا وسائط أو مناطق وسطى ، ولا تتسامح مع البين بين أو المواقف المترددة "(2).

ونقرّبنا رقيقة دربه عبلة الرويني أكثر من شخصيته ، منققة كثيراً في طرحها مع ما قاله الدكتور عصفور ، ومتعمقة أكثر في ثناياها وتضاعيفها ، ولم لا؟! وهو زوجها الذي تعرفه دون شك أكثر من سواها ، وبالتالي تعرفنا على شخصيته ، وتكشف لنا عن مخبوءاتها ، وأبرز خصائصها ، فنقول :

" نصطدم فيه بعالم متناقض تماماً ، يعكس ثنائية حادة ، كل من طرفيها يدمر الآخر ، ويشنت الكثير من أشكالها ... إنه الشيء ونقيضه في لحظة نفسية واحدة

(1) د. جابر عصفور - نكريات أمل دنقل - جريدة الحياة - لندن - ع [15 / 5 / 2002م] .  
(2) السابق .

يصعب الإمساك بها والعثور عليه فيها : فوضوي يحكمه المنطق ، بسيط في تركيبه شديدة ، صريح وخفي في أن واحد ، انفعالي ومتطرف في جرأة ووضوح ، وكتوم لا تترك ما في داخله أبداً .

ملاً الأماكن ضجيجاً وصخباً وسخرية وضحكاً ومزاحاً..... صامت إلى حدّ الشريد ، يفكر مرتين وثلاثاً في ردود أفعاله وأفعال الآخرين ، حزين حزناً لا ينتهي ، استعراضي ، يتيه بنفسه في كبرياء لافت للأنظار ..... بسيط بساطة طبيعية ، يخجل معها إذا أطريته وأطريت شعره ، وربما يحتد على مديحك ؛ خوفاً من اكتشاف منطقة الخجل فيه ، صخري ، شديد الصلابة ، لا يخشى شيئاً ، ولا يبرف الخوف أبداً ... لكن ، من السهل إيلام قلبه .

يكره لون الخمر في القنينة ، لكنه يدمنها استشفاءً ، قلق ، لا يحمل يقيناً !  
تاريخ معتقداته حافل بالعصيان ، لكنه غير ملحد .....

صعيدي محافظ ، عنيد لا يتزحزح عمّا في رأسه ، وقضيته دائماً هي الحرية ، ومشواره الدائم يبدأ بالخروج ، عاشق للحياة ، مقاوم عنيد ، يحلم بالمستقبل والغد الأجل .....<sup>(1)</sup>

إن هذه الملامح البارزة في شخصية أمل دنقل كانت وليدة جذور محيط اجتماعي وثقافي ، وقد اختار الشعر وأخلص له ، وأدرك كما يقول الدكتور جابر عصفور أن " أن كتابة الشعر هي الفرح المختلس في الواقع المختل ، وأمن أن الفرح المختلس لا يكتمل إلا بالصدق الجارح ، حتى لو صادرت العسس ما كتبه ، أو غضب الغاضبون ، فالخيانة للنفس هي التخلي عن حذية الصدق من أجل المجاملة ، أو من أجل مكسب سريع "<sup>(2)</sup>.

وهكذا أخلص شاعرنا لشعره ، وعاش بصدق وقوة إيمان داخل قضايا وطنه وأمته ، وليس عباءة الشاعر النبي ، وما يقوم به من دور تجاه ما يواجه الوطن والأمة من أزمات ، وكان لا بدّ له أن يقوم بهذا الدور ؛ ليكشف الظلم ، ويُنادي بالتأثر ، وعدالة القصاص ، ويتمرد على الاستبداد ، ويثور على الفساد ، ويدعو للحرية ، ومن ثمّ كان على اتصال دائم بالأحداث ، يتابعها ساخنة ، ويقف وسط جماهير المطحونين ، يدافع عن حقوقهم ، ويدفعهم للثورة ، ورفض ما يتعرضون له من قهر .

(1) الجنوبي ، أمل دنقل - ص 5 وما بعدها .

(2) ذكريات أمل دنقل .

ربما طاب له أن يختار هذا الدور ، وربما ذلك هو دور منقّف تلك مرحلة ، كما يقول الشاعر . محمد سليمان ، في حوار أجري معه بمجلة أخبار الألب ؛ فهو يرى أن أمل دنقل " كان نموذجاً للشاعر الطرف ؛ قصيدته السياسية لم تكن تواكب فقط حركة الشارع ، وتعبّر عنها ، أو تنبأ بها ، بل كان طرفاً أساسياً ؛ لأن منقّف مرحلة (أمل دنقل) كان هو نفسه المحرك السياسي للأحداث التي كتب عنها الشاعر ، مرحلة كان للشاعر فيها موقع ووظيفة ، ووظيفة الشاعر النبي ، أو شاعر القبيلة " (1) .

هذا الدور إن كان يرى محمد سليمان أنه لم يَعدّ موجوداً الآن ؛ لانتفاء الظرف ، إلا أننا نرى أن هذا الدور أشد ما نكون حاجة إليه اليوم ؛ لاستمرار الظرف ، وتعدد كفيّاته .

---

(1) الشاعر . محمد سليمان - القصيدة السياسية منذ لا تصالح - حوار بمجلة أخبار الألب - عدد الأحد - [ 19 / 5 / 2003م ] .

## الشعر والسياسة

منذ تاريخنا الأدبي والشعر يرتبط بالسياسة ، هذا الارتباط يُعدُّ ظاهرة طبيعية في أية جماعة إنسانية ، تتفق فيها الرؤى أو تبتاين ، رأينا ذلك منذ العصر الجاهلي ، وقد احتل فيه الشعر المكانة الكبيرة ؛ فقد اتصل الشعر العربي منذ اكتماله فيه بالسياسة ، ونعني " منذ وجود القبيلة العربية التي تعدُّ الصورة المصغرة للدولة ؛ إذ كانت صورة الجماعة البشرية المنظمة ، بعد أن جاوزت دور الأسرة " (1).

وهكذا فنشأة الشعر السياسي ارتبطت بوجود القبيلة ، وصراعها مع غيرها ، وبروز الشعراء ، محاربين بلسانهم عن قبائلهم وساداتهم ، فكان اللسان " يَنكأ بهجائه في الأعداء نكأ السيوف والرماح ، ويخيل إلى الإنسان كأنما تراس شعراء القبائل بجانب فرسانها وشجعانها في صفوف ، وقد أخذ كل منهم يرش سهام هجائه ، ويرمي بها أعداءه من الأشراف والقبائل ، وكلُّ يحاول أن يكون سهمه أنفذ السهام وأصنامها ، حتى لا تقوم للشريف وقبيلته قائمة ، وكانوا ينتهزون فرصة تلاقحهم في الأسواق ، وخاصة سوق عكاظ ، فينشدون أهاجيهم لتذيع ، ويلحقوا بخصومهم كل ما يريدون من خزي وعار " (2).

ومن ثمَّ فقد ظهرت الصورة الأولى للشعر السياسي في سبيل القبيلة التي عاش الشاعر في ظلها ، فكان " فنه لها كفاء ما رعته ، وحملت جرائره ، وكان هذا التفاعل الذي أثمر شعر القبيلة الداخلي والخارجي " (3).

وبتطور النظام الاجتماعي والسياسي ، وظهور إمارات عربية في بعض نواحي البلاد العربية ، وقيام ولايات " في حماية الفرس ، والروم ، واليمن ، أو حول الكعبة المقدسة ، وانحاز الشعراء إلى هاته الجماعات النظامية ، وكان شعرهم سجلاً لسياستها في الأيام والمواسم والمواقف " (4).

(1) د. أحمد الشايب - تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني - مكتبة النهضة المصرية - ط5 - 1976م - ص 5 .

(2) د. شوقي ضيف - العصر الجاهلي - دار المعارف - القاهرة - ط14 - 1991م - ص 200 .

(3) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني - ص 409 .

(4) السابق - ص 409 .

تلك هي الصورة الأولى للشعر السياسي ، على أننا لا نستطيع أن ننعت تلك العلاقة بالنضوج ، خاصة مع كون العرب - في أكثرهم - قبائل مبددة ، متنافسة ومتناحرة ، ومن ثم فالوجوه التي عبّر من خلالها الشعر عن القبيلة ، وعلاقاتها مع غيرها ، سلماً وحرماً " لم تبلغ حدّ السياسة بمعناها المعروف ؛ إذ لم تكن قد اكتملت للعرب بعد مقومات واضحة للشعب أو الوطن أو الدولة ، بما يصحب ذلك من خلاف حول مفهوم الحكم ، أو حدود الوطن ، أو أمور الشعب ، أو قضايا القومية"<sup>(1)</sup>؛ فقد ظل الفرد وثيق الارتباط بذلك الكيان الاجتماعي القبلي المستقل ، ولم يشعر بحدود واضحة تفصل حياته الفردية وتجاربه الخاصة عن حياة قبيلته وتجاربه ، على أن هناك يوماً من أيام العرب " هو يوم ذي قار ، قد استطاع أن يقترب بالشعر إلى الشعور العربي القومي ، لكن ما قيل فيه من شعر ظل مع ذلك - فخراً ببطولات من خاضوه ، من قبائل وأفراد"<sup>(2)</sup>.

ومن ثمّ كان في مجيء الإسلام ، وجمعه للعرب أمة واحدة ، تحت راية الإسلام - الفرصة الكبرى لنضوج تلك العلاقة بين الشعر والسياسة ؛ إذ كان بطبيعة الحال لا بدّ للشعر ، ولاسيما السياسي منه أن " يساير هذه الدولة في تكوينها الداخلي ، وسلطانها الخارجي ، وحروبها الأهلية ، وأحزابها السياسية"<sup>(3)</sup>.

من ذلك يمكن أن نعي جيداً أنه بمجيء الإسلام بدأ المفهوم السياسي ينتشر شيئاً فشيئاً في الشعر العربي ، وذلك حين استطاعت العقيدة أن تعلو فوق الانتماعات القبلية ، وأن " تجمع طائفة كبيرة من أبناء قبائل ومواطن مختلفة حول مبدأ واحد ، وهو إيمان ، تمتزج فيه العقيدة بنظام الحكم والاقتصاد وبناء المجتمع ، وعلاقة المسلمين بغيرهم من المجتمعات ، وهي كلها أمور تدخل في صميم السياسة"<sup>(4)</sup>، وكان من الطبيعي أن تبقى العقيدة هي محور الخصومة بين هذا المجتمع الجديد وغيره من القبائل والمجتمعات ، وأن تكون تلك الخصومة بقضاياها السياسية جزءاً لا ينفصل فيه الشعر عن العقيدة الجديدة .

ورغم ذلك كله ، إلا أنه لم يكن بمقدور العرب ، وقد اعتادوا ما هم عليه " أن يخلصوا فجأة من ذلك الامتزاج الوثيق بين حياة الفرد ومجتمعه الصغير في

(1) د. عبدالقادر القط - في الشعر الإسلامي والأموي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1987م - ص 273 .

(2) السابق - ص 374 .

(3) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني - ص 93 .

(4) في الشعر الإسلامي والأموي - ص 275 .

القبيلة ، فظل الشعور القبلي مسيطراً مع ذلك على الشعراء فيما ينظمون عن الخصومة بين المسلمين والمشركون ، وظلت المفاخرة القديمة بالأيام والأنساب ، والمعاصرة بالهزائم<sup>(1)</sup>، ولعلّ ما يؤيد ذلك ما رأيناه من استعانة حسان بن ثابت بأبي بكر الصديق ؛ ليعرفه بما خفي عليه من أنساب قريش وتاريخها وأيامها ؛ لينتفع به في هجائه للمشركين .

ومن هنا فالشعر لم يلتزم بالسياسة التزاماً حقاً إلا " بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، وما أعقبه من فتن وحروب أهلية متصلة ، انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب ، تتنافس على السلطة ، وتختلف في فهمها لنظام الحكم"<sup>(2)</sup>، ولاشك أن موقعتا الجمل وصفين كان لهما الأثر البين في نشاط سياسي حزبي ، انعكست آثاره على تاريخنا العربي والإسلامي فيما بعد ، خاصة بعد حادثة التحكيم ، ومقتل الخليفة الرابع ، علي بن أبي طالب ، وكان للشعر أن يُعبّر عن كل تلك الأحداث والفتن والصراعات ، ومن يطالع شعر هذه المرحلة يجده سجلاً سياسياً شاملاً لكل ما كان نزاعات حزبية بين الفئات المتصارعة .

فبعد أن خُلف الأمر لـ (معاوية بن أبي سفيان) خليفة للمسلمين ، عقب مقتل الإمام علي بن أبي طالب ، وتنازل الحسن عن الخلافة - كانت هناك عدة أحزاب سياسية قد تكونت ، ونضج أكثرها على المستويين ، المذهبي والسياسي ، أهمها : الشيعة ، والخوارج ، والأمويون ، ثمّ كان " القرشيون الذين مثلهم فيما بعد حزب الزبيريين ، وكان لكلّ حزب شعراؤه الذين يعبرون عن أهدافه ، ومفهومه للحكم ، وحقه فيه ، ويهاجمون خصومه ، ويشككون في حقهم ، ويحطون من شأنهم ، ويرمونهم بالمروق عن الدين"<sup>(3)</sup>، ينضاف لذلك أحزاب أخرى ، كان لها طابع مذهبي فكري أكثر من كونه سياسياً ، أهمها : المعتزلة ، والمرجئة ، وفي كل الأحوال تتسع هوة الخلاف ، وتتعدد الأحزاب والجماعات ، وذلك كله من شأنه أن يوثق العلاقة ما بين الشعر والسياسة .

وإذا نظرنا متأملين في نصوص الشعر السياسي الأموي وجدنا أن " بعض نصوص هذا الشعر يبدو سياسة صريحة مباشرة ، وبعضه يبدو كأنه فنون غنائية خاصة ، ولكن يجب أن يفهم مثل هذا بدوافعه وغاياته ، لا بحروفه وجزئياته"<sup>(4)</sup>،

(1) السابق - ص 275 .

(2) السابق - 276 .

(3) السابق - ص 276 .

(4) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني - ص 191 .

وهكذا فقد كان كل حزب يدافع عما يعتقد حقا ، بالسيف تارة بعد أخرى ، وبالشعر دائما ، ربما لأن مساحة السماح بالقول أقوى كثيرا من مساحة السماح بالتمرد والثورة ، ولأن ضرر السيف - عادة - أشد إيلاما من ضرر اللسان !!

وقد تميز من بين تلك الأحزاب الخوارج ، أصحاب الفكر الجمهوري في الإسلام ؛ فالخلافة عندهم حق مشترك بين المسلمين ، يتولاه الصالح منهم للقيام به ، دون اعتداد بجنس أو طبقة ، وإن كان عبدا ؛ فليس " بلازم أن يكون عربيا ولا قرشيا ، كما يقول الزبيريون ، ولا هاشميا ، كما تقول الشيعة ، ولا أمويا ، كما يحرص الأمويون ، هم في ذلك على عكس هذه الأرستقراطية الجنسية ، أو القبلية ، أو العائلية ، فكانوا دعاة المساواة الإسلامية " (1) ، ومن ثم فشعرهم السياسي كان " أصلى صورة أدبية لمذهب ديني سياسي ، لا يشاركه في هذا الوصف شعر آخر " (2) ؛ وذلك لأنهم أخلصوا لمذهبهم ، وجعلوا شعرهم مقروغا له ، ولم يسعوا كغيرهم ليتكسبوا به مالا ، ولا منزلة .

لكن الظاهرة الجديدة التي اجتمع عليها شعر كل الأحزاب المعارضة " سواء في ذلك شعر الخوارج والشيعة والزيبريين ، والمعتزلة والمرجئة والأمويين هي الالتزام ؛ فقد ظل كل شاعر ملتزما بالخط السياسي الذي تبناه حزبه " (3) .

واستمر الاتفاق والاختلاف وسط أتون الصراعات السياسية ، واشتداد الصراعات الداخلية في العصر العباسي ، وانعكس أثرها بطبيعة الحال على الأدب ، شعرا ونثرا ، ومن ثم يستمر الشعر السياسي باستمرار الصراع بين العباسيين من ناحية ، والمعارضة التي لم تنته من ناحية أخرى ، وإن كانت هنا قد انحصرت بصورة كبيرة بين العباسيين والشيعة ؛ فالعباسيون - في رأي الشيعة - قد انتزعوا الحكم منهم ، وأن الخلافة في أبناء علي ، بينما يرى العباسيون أن الخلافة في بني العباس ، " فينخذ كل من الحزبين شعراء مؤيدين له ، يدعون بدعوته ، ويتشيعون له " (4) ، ينضاف لذلك ما أنتجته الحركة الشعبية بين العرب والموالي ، والفرس خاصة من شعر ، يُدرج بصورة ما تحت ما أنتجه العصر العباسي من شعر سياسي .

(1) السابق - ص 203 .

(2) السابق - ص 204 .

(3) د. عبدالعزيز النعماني - فن الشعر ، بين التراث والحداثة - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة -

ط 1 - 1990م - ص 68 .

(4) د. أمين إبراهيم شحادة - مذكرات في الأدب العباسي وتاريخه - منشورات الجامعة المفتوحة -

ليبيا - ط 1 - 1991م - ص 69 .

والموالي أصحاب نزعة سياسية ، تسعى من أجل إعادة مجد أكاسرة الفرس مرة أخرى ، وهي ليست وليدة العصر العباسي ، بل إنها بدأت أيام دولة بني أمية ، وكان يمثلها العديد من شعراء الفرس الذين استجابوا لدعوة الإسلام ، ودخلوا فيها ، لكنهم لم يجدوا في سياسة بني أمية تلك " المساواة التي أقرها الإسلام ، وجعلها روحه الدينية والاجتماعية ، وتشبث بها أعلامه الأوّلون ؛ فأذكروا هذه السياسة ، وكرهوا العرب بسببها ، وذكروا دولتهم الزائلة ، ومفاخرهم العتيّدة ، وتمنوا لو عاشوا في ظل الأكاسرة الفارسيين " (1) ، بدلاً من هؤلاء الملوك الأمويين .

وقد قوبلت هذه الحركة بأخرى عربية ، ممّا أنتج ما سُمّي بالحركة الشعبوية ، وقد مثّل الشعر هذه العصبية الجنسية بين الطرفين ، لكنها لم تصل في حدّتها وقسوتها ما وصلت إليه في عصر العباسيين .

لكن الموالي مع ذلك لم يتفرغوا في شعرهم لتلك النزعة السياسية ، وإنما كانت عندهم أقرب ما تكون للأصل المشترك الذي يجتمعون عليه ، " وهم بعد يعيشون بالمدح ، والتردد بين الخلفاء والأمراء والرؤساء ؛ قصد الانتقاع ، فلم يتخصصوا في السياسة ، أو أنهم جعلوا اتصالهم بأولي الأمر جزءاً من سياستهم الخفية المدارية ، وكان أولو الأمر يترضونهم ، ويدارونهم بدافع سياسي أيضاً " (2) ، لكن نظرة عامة لما أبدعوه من شعر سياسي نجده ينتهي إلى نتيجة واحدة ، ألا وهي استعادة المجد الساساني ودولته التي أضاعها العرب .

وقد عمل شعراؤهم السياسيون على تحميس الموالي نحو هذا الأمل ، بل إن كبار الفرس نهضوا ليقوموا به ، فحاولوا أولاً الخلاص من الأمويين ، وعزموا ثانياً على إرجاع دولتهم ، فانضموا تحت لواء العديد من الثورات ، والتيارات المعارضة ، لكنهم بصورة ما احتضنوا الرؤية الشيعية ، وانضوا تحت لوائها ، يدعون سرّاً لإمامها الهاشمي العباسي ، حتى إذا ظفر العباسيون بالحكم كان لهم ما أرادوا من النفوذ الذي يستريحون في ظله ، ويتحكمون كيفما شاء لهم السلطان الذي أمسكوا بصفته ، علناً أو من وراء ستار !!

وإذا قمنا موازنة بين مواقف الشعراء السياسيّين في هذه الفترة نجد أن الشعراء السابقين كانوا ينادون بإصلاح الحكم الإسلامي ، بينما الموالي عامة والفرس خاصة يريدون القضاء عليه ، وكان " الأوّلون يعملون في سبيل العرب ،

(1) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني - ص 265 .

(2) السابق - ص 275 .

والآخرون في سبيل الفرس ، افتخر العرب بالحاضر القائم ، والموالي بالماضي الزائل ، اجتمع الموالى حين تفرق العرب ، وأحسن الفرس السياسة لمّا غفل الهاشميون ، فعادت الكسروية <sup>(1)</sup> .

ويضعف الشعر بضعف الحضارة الإسلامية العربية ، وسقوط الخلافة تحت ضربات النثار الباغية ، وتضعف تبعاً لذلك علاقة الشعر بالسياسة ، وإن تواجدت على كيف ، دلّ على أزمة ثقافية ، ومازق حضاري كبير ، استمر إلى إشراقة فجر العصر الحديث .

وبمجيء العصر الحديث ، وازدياد أسباب النهضة ، يزدهر الشعر ، انطلاقاً من مصر <sup>(2)</sup> ، وتتوالى مدارسه ، وتقوى تبعاً للواقع السياسي وإشكاليته العلاقة ما بين الشعر والسياسة ، في مصر خاصة ، والعالم العربي عامة ، وتتوثق هذه العلاقة ، وتتضح شيئاً فشيئاً .

إلا أن ارتباط الشعر بالسياسة حديثاً بمصر ظهر في صورته الناضجة مع تيار الشعر الواقعي ، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وانتصار الحلفاء ، وإخلاف الوعود بمنح الاستقلال ، ليتحوّل مع نهايتها هذا التيار إلى نضال علني ، يدعو إلى تحرر الوطن والمواطن على السواء ، وهكذا وجدنا أن الحياة الأدبية " شهدت في هذه الفترة بداية أدب جديد ، لا يزيّف الواقع ، ولا يبرر المظالم ، ولا يدير ظهره لآلام الجماهير الغالبة من شعبنا ، وعبر هذا الأدب الجديد عن نفسه ما استطاع ، في صحفٍ مناضلة <sup>(3)</sup> .

وتأتي ثورة الثالث والعشرين من يولييه (1952م) ، وبمرور الوقت تطفو سلبياتها على الساحة ، وتستمر المأساة ، ونجد تياراً شعرياً أسماه الدكتور الطاهر مكي (شعر ما تحت الأرض) ، وأصحابه أثروا الكلمة الصادقة ، ولو طوى عليها صدره أو أوراقه ، فرأينا في شعر هؤلاء صورة صادقة لما تموج به حياتنا السياسية من تقلبات ، ومثّل ذلك " حين أصدرت محكمة استثنائية قراراً بإعدام ستة من خيار المواطنين بتهمة أنهم ينتمون إلى الإخوان المسلمين ، وجاء الحكم

(1) السابق - ص 284 .

(2) راجع في هذا الإطار :

د. إبراهيم علي أبو الخشب - تاريخ الأديب العربي في العصر الحاضر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط 4 - 1992م - ص 49 : 70 .

(3) د. الطاهر أحمد مكي - الشعر العربي المعاصر ، روائعه ومدخل لقراءته - دار المعارف - القاهرة - ط 2 - 1983م - ص 144 وما بعدها .

أليماً على كافة المواطنين ، المجردين من أي سلاح ، العاجزين عن التلميح بأية إشارة ، احتال الشاعر الشهيد ، هاشم الرفاعي (1935 - 1959م) ، وكان موهبة واعدة في دنيا الشعر ، وقاله صبيبا وهزته الجريمة كما هزت غيره ، فنظم قصيدته الخالدة (رسالة في ليلة التنفيذ) ، وأبقاها مطوية ، فلماً أتاحت له فرصة أن يشارك في مهرجان الشعر العربي في دمشق عام (1959م) ، وكان طالباً بدار العلوم ، أوهم المنظمون أنه يقولها في شهداء الجزائر ، ولا يحتاج الأمر لذكاء ليدرك أن وراءها المأساة المصرية بعينها ، عاشت في أعماق هذا الشاب الريفي <sup>(1)</sup> .

هذا فيما يخص الداخل وصراعاته ، أمّا من حيث الخارج ، فكانت هناك قضية القضايا ، وهي مأزق فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ، هذا الصراع الذي كانت له انعكاساته المؤثرة على السياسة وشعرها في كل أقطار الوطن العربي .

وجاءت هزيمة الخامس من يونيو (1967م) ، فأخرجت شعراً سياسياً كان شاعرنا أمل دنقل في ديوانه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) أحد أهم قائله ؛ إحساساً منه بالفاجعة والهزيمة ، وتعبيراً عن رأي متقف آلمته مأساة وطنه ، وعاش بشعره آلام ذويه ....

واستمر الحال مع اشتداد الأزمة قبل حرب أكتوبر (1973م) ، خاصة بعد اتفاقية كامب ديفيد ، والصلح الذي رفضه كثيرون ، وما أعقبه من تداعيات ، عبّر عنها شعراؤنا ، ومنهم أمل دنقل في ديوانه غير المكتمل (أقوال جديدة عن حرب البسوس) .

ومن ثمّ فالشعر في إطاره السياسي لم يغفل ألماً ، ولم يدر ظهره لما نعاتيه من أوجاع وهموم ، وإن سُدَّتْ سُبُلُ النشر في وجه شعرانه ، فاضطروا أن يحفظوا ما أبدعوه " في سرّ مكين ، حتى لا يُحاربوا في أمنهم وأرزاقهم وأسرههم ، وهو شعر كثير ، لم يقله شعراء محترفون نعرفهم فحسب ، وإنما ترنم به آخرون كثيرون مجهولون ، جعلت منهم السجون والمعقلات والألام ، ومحاولة إذلال أرواحهم ، شعراء على غير ما كانوا يفكرون ، أو يظنون " <sup>(2)</sup> .

ويرى الطاهر مكي أن أكثر هذا الشعر ممتد ، وينتشر على امتداد خارطة الوطن العربي ، وإن اختلفت الدوافع ، لكنه بأي حال " لا يمكن أن ينشر اليوم ؛ لأنه يمس كثيرين على قيد الحياة ، وبعض منه أنشده أصحابه في معمعة القهر ،

(1) السابق - ص 148 .

(2) السابق - ص 149 .

وفي غيبة النقد ، وبعيدا عن الرغبة في النشر ، فلم يتخيروا ألفاظهم أو صورهم ، فأفحشوا ، وغالوا ، وتجاوزوا حدود القول ، ونشر ما قالوه يقع تحت طائلة قانون العقوبات ، وبالتأكيد سيأتي بعد مائة عام من الآن ، أو قبل ذلك بكثير من ينشر مخطوطه ، ويدرس محتواه ، ويتخذ منه وثيقة هامة (1).

وهكذا ارتبط الشعر بالسياسة ، تأكيدا على ارتباط الأديب بقضايا مجتمعه ومشكلاته ؛ باعتبار أن مشكلاته لا تنفصل بأي حال عن مشكلات الناس ، ومن ثم تتأكد علاقة الفنان بمجتمعه ؛ فالمجتمع " قد أودع الفنان كل ثقته ، والفنان نفسه - مقابل هذا - قد استقر في نفسه الشعور بضرورة الإخلاص للمجتمع ، وقد بلغت ثقة المجتمع بالفنان إلى حد أنه ينظر إليه على أنه نبي قومه ، وهو وصف يؤكد حيوية العلاقة بين الفنان والمجتمع ، وخطورتها " (2).

تلك الخطورة التي تملي عليه مهمة القيام بهذا الدور على الكيف المنتظر منه ، وهذا ما يجب أن يكون عليه دور الفنان في علاقته بقضايا مجتمعه ، خاصة السياسة منها ؛ لأن السياسة دائما هي قلب كل الإشكاليات .

وإذا كان الشاعر قد أدرك قدر السلاح الذي يمتلكه ، وهو الكلمة الشاعرة ، فما ينتظر منه هو أن يساهم بها في معركة المصير التي يخوضها مجتمعه " إيماناً منه بأن مصيره رهن بمصير الجماعة " (3).

(1) السابق - ص 149 .

(2) د. عز الدين إسماعيل - الشعر العربي المعاصر ، قضاياها ، وظواهره الفنية والمعنوية - دلت  
الكاتب العربي - القاهرة - 1967م - ص 380 .

(3) السابق - 408 .

## القارئ والنص

بعيداً عن الحديث التنظيري عن مناهج النقد الأدبي ، وآليات مقارنة النصوص ، بعيداً عن كل ذلك نحاول من خلال النماذج الشعرية المدروسة بهذا الكتاب أن نمارس دور القارئ ، فممّا لاشك فيه أن العلاقة جد وثيقة بين القارئ والنص ، هذا الدور الذي أقرته وأكدته كافة مدارس النقد ، على اختلافها وتعددتها ، خاصة تلك التي تعتمد مد الجسور بين معطيات علم اللغة ودراسة الأدب .

لكن هذا الدور يختلف حسب نوعية القراءة ، تلك التي تجعلنا نفرق بين القارئ العادي المتذوق ، والقارئ الدارس ؛ فالأول يقف بقراءته عند مرحلة لا يتعداها ، تعبر عن موقف انفعالي ؛ باعتبار أن المرء حين يخلو لنفسه ، مستجيباً لرغبة تدفعه لقراءة قصيدة ما " يستمتع بها دون شيء أزيد ، فإن اهتمامه ينصب على القصيدة نفسها ، يمضي مع صورها وأنغامها ، فيجد فيها بعض أمسه ، أو صدى تجاربه ، أو صورة طموحاته ، أو إخفاقه ومعاناته ، ويرتاح إلى موسيقاها ، ويردد أبياتها ، مترنماً أو مستشهداً ، دون أن يذهب إلى ما هو أبعد من هذا " (1) ، أمّا دارس الأدب فهو يتعدى تلك المرحلة لمراحل أخرى ، مستعيناً بأدواته القرآنية التحليلية ؛ لتكون قراءته مؤسسة على حقيقة علمية ، وبالتالي فهو ليس " مجرد قارئ متذوق لا يختلف عن سائر القراء إلا في الدرجة ، بل إن عليه أن يتمتع بازدواجية ، تمكنه من أن يكون حين يشاء قارئاً متذوقاً ، وحين يشاء دارساً محللاً ، وما أبعد الفرق بين الموقفين ، إنه الفارق بين ذاتية المتلقي ، وموضوعية الباحث " (2) .

وذلك يؤكد بصورة كبيرة ما للقراءة والقارئ من دور كبير في استكناه جوهر النص الأدبي ، وسبل أغواره ، بعيداً عن ذات مبدعه ؛ ليبقى النص وحده يشع بما يكمن داخله من دلالات ، بحيث إن القراءة في كل حالاتها ذات دور فاعل ومؤثر في عملية الكشف الدلالي لجوهر الأدبية في النص .

ومن ثمّ فالقارئ الدارس في دوره هذا لا يقل أهمية وإبداعاً عن الأديب ؛ فكل

(1) الشعر العربي المعاصر ، رواه ومدخل لقراءته - ص 92 .

(2) د. سعد مصلوح - الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية - عالم الكتب - القاهرة - ط 3 - 1992م - ص 26 .

منهما يُعدُّ مُبدِعًا ، الأول بما أبداع ، والثاني بكشفه عن الدلالات المصاحبة ، والمسترة خلف إطار النص المُعلن .

والقارئ في ذلك يستند إلى ذوقه أولاً ، وأدواته ووسائله ثانياً ، وخبرته وتجاربه ، بما فيها من نجاحات وإخفاقات ثالثاً ، تلك جميعها تمكنه من استقبال الدلالة ، والسعي وراء بنياتها بجهد ومشقة لإتمام عملية الكشف ، وانطلاقاً من ذلك " ينبغي على القارئ أن يُعدُّ نفسه لهذه المرحلة التي تتطلب منه أن يقوم بعمل إبداعي ، يوازي في أهميته وتأثيره العمل الفني ذاته ، وتتم كتابة هذا النقد على دفعات ، يجهد الناقد في تنقيحها ، وتنظيمها ، وسبكها على نحو يجعلها تبدو متكاملة ومؤثرة "(1)

وعلى هذا فالعمل الأدبي لا يكشف عن نفسه - عادة - دفعة واحدة ، وإنما يتحصه ، وتعدد قراءاته تظهر لنا دلالاته ومفاته ، وربما كانت الدلالات التي تثيرها القراءة الأولى باباً يلج منه القارئ لمعالجة شتى دلالات النص ، التي تتبدى بتعدد القراءة ، شيئاً فشيئاً .

وإن قيل إن القراءة الأولى يظهر فيها بصورة ما القارئ المتذوق أكثر من القارئ الدارس ، وبالتالي مع القراءة الثانية والثالثة يجلُّ العقل وموضوعيته محلَّ الجانب الانفعالي ، الناتج عن التعاطف مع ما يعتقده الدارس في النص من إشباع لرغبات ما ، لكن هذا في جانبه الصحيح لا يعني فقدان القراءة الأولى لأهميتها ، بقدر ما يعني أن لكل قراءة وظيفتها ، وأهميتها ، وذلك في توصيفه الدقيق يعني التأثيرية المتبادلة بين النص والقارئ ، ومن ثمَّ فعملية القراءة انطلاقاً من ذلك " تسير في اتجاهين متبادلين ، من النص إلى القارئ ، ومن القارئ إلى النص ؛ فبقدر ما يقدم النص للقارئ ، يضيفي القارئ على النص أبعاداً جديدة ، قد لا يكون لها وجود في النص ، وعندما تنتهي العملية ، وتتلاقى وجهات النظر بين القارئ والنص ، عندئذ تكون عملية القراءة قد أدَّت دورها "(2)

إن هذا الدور القرآني هو ما سنحاول القيام به ، مُتتبعين نصوصنا المقاربة ، بمضامينها وأفكارها وصورها ودلالاتها ، مُستعينين بالتحليل الأسلوبى البنيوي(3) ،

(1) د. عدنان حسين قاسم - الاتجاه الأسلوبى البنيوي في نقد الشعر العربى - الدار العربية للنشر والتوزيع - القاهرة - 2001م - ص235 .

(2) د. نبيلة إبراهيم - القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال) - مجلة فصول - القاهرة - م[5] - ع[1] - 1984م - ص101 : 108 .

(3) راجع في هذا الإطار : الاتجاه الأسلوبى البنيوي في نقد الشعر العربى - ص248 : 286 .

وما يضمنه من آليات ، داعمين إياها بإفرازات البلاغة العربية ، وما يُتيحها الجانب الإحصائي - أحياناً - من تحديد لظواهر وسمات أسلوبية ، تشبع طموحنا نحو تحليل أدبي أكثر حيادية ، وأدق نتيجة !!

ونحن في كل ذلك نولي اهتمامنا بالنص ، من حيث هو نص فني أولاً وقبل كل شيء ، ويكون محور ذلك الاهتمام " هو القيمة الفنية الخالصة ، التي تجعل ذلك النص مؤهلاً لتحقيق وظيفة جمالية معينة " (1) ، وذلك في إيجاز ما نسعى إليه من خلال النصوص الثلاثة المقارنة بهذا الكتاب .

---

(1) د. محمد فتوح أحمد - جدليات النص - مجلة عالم الفكر (أفاق الأسلوبية المعاصرة) - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - م [23] - ع [3 ، 4] - ص 39 .